السنــــــــــة الأولى ماستر تخصص أدب عربي حديث ومعاصر

الشعر الإحيائي /محاضرة

أ.إدريس سامية

**النهضة العربية الأدبية الحديثة**

**I)- بدايات النهضة العربية:**

بدأ عصر النهضة بدخول الفرنسيين مصر بقيادة نابليون سنة 1798، وكانت الحملة أول احتكاك واسع ومباشر بين مصر والحضارة الأوربية بعد عزلة طويلة فرضها العثمانيون على مصر والبلاد العربية، وقد بدأت أولا في مصر ولبنان لأنهما «كانتا أسبق بلاد العرب إلى مشار التوعية، وأغزرها عطاء أدبيا نظرا إلى موقعهما على شاطىء البحر المتوسط ملتقى حضارات الشرق والغرب، ولما لهما من مكانة علمية، وينابيع للمعرفة، يقبل عليها العطاش من مختلف بلاد العالم. ففي مصر الأزهر العتيد، والجامعة المصرية، وفي لبنان جامعتان آنذاك، ومدارس مختلفة لزرع الضوء في الأذهان، وأمواج البحر ما فتئت تقدم لهما روادا من الغرب، وتحمل منهما طلابا إلى مختلف جامعاته»[[1]](#footnote-2). والواقع أن لبنان كان الأسبق زمنيا في التواصل مع الحضارة الغربية، واتخذ ذلك التواصل شكل الإرساليات المسيحية الأوربية، والبعثات العلمية التي كانت ترسلها الرهبانيات اللبنانية إلى العواصم الأوربية، وكذا المدارس التي أنشأتها في أرجاء لبنان، ومن أهمها مدرسة عينطورة 1734 ومدرسة عين ورقة 1789 ومنها تخرج الشدياق والبستاني[[2]](#footnote-3)، حيث يتحدث الدارسون عن طلائع النهضة و بداياتها البعيدة. أما بدايتها الفعلية فكانت من مصر؛ « يكاد يجمع مختلف الذين درسوا عصر النهضة العربية على الأهمية المركزية التي حظيت بها تاريخيًّا الحملة البونابرتية الفرنسية على مصر في سنة 1798م.»[[3]](#footnote-4) فقد حمل نابليون معه علماء وأدباء وفنانين ومخترعين، «وعندما جلس محمد علي على عرش مصر سنة 1805 واصل مسيرة الإصلاح والنهوض، وقد أراد الاحتكاك بالغرب شديدا مثمرا، فوالى البعثات إلى أوربة، وعمل على فتح المدارس ولاسيما الطبية والعسكرية منها، وشجع حركة النقل والترجمة والطباة والصحافة، واتخذ اللغة العربية لغة رسمية للبلاد، فكان رجلا عظيما وركنا رئيسيا من اركان النهضة، ويعتبر عهد محمد علي عهد النهضة العلمية والعسكرية في مصر بينما سعى اسماعيل بعده إلى تعزيز النهضة الأدبية»[[4]](#footnote-5)، ففي عهده تعددت المدارس ومنها مدرسة المعلمين ومدرسة الحقوق ومدرسة الفنون والصناعات، وتم إنشاء الجامعة المصرية سنة 1906، وقد كان المهاجرون الشوام الذين قصدوا مصر هاربين من اضطهاد العثمانيين في لبنان وسوريا ركنا من أركان النهضة بما قدموه من نشاط علمي وأدبي وإنشاء للصحف والمجلات الراقية.

**عوامل النهضة العربية الحديثة:**

اعتمدت النهضة العربية على قاعدتين عريضتين هما:

1. الاتصال بالحضارة الأوربية المزدهرة
2. الاتصال بالتراث العربي في عهود قوته

وقد تم الاتصال بهاتين القاعدتين عن طريق وسائل وعوامل عديدة تفاعلت فيما بينها، ويمكن إجمالها فيما يلي:

\* الاحتكاك بالغرب وأثر حملة نابليون على مصر؛ فقد رافق الحملة علماء فرنسيون في الرياضيات والهندسة والطب والجغرافيا، وأنشؤوا في القاهرة مدرستين لتعليم أبناء الفرنسيين المولودين بمصر، وجلبوا مطبعتين (فرنسية وعربية) لطبع الأوامر والمنشورات، وأنشؤوا مرصدا ومسرحا ومتحفا ومكتبة للمطالعة يرتادها المصريون للفرجة على مبتكراتهم، كما أصدروا جريدتين بالفرنسية وثالثة هي "التنبيه" بالعربية، لنشر البيانات والمراسيم والمحاكمات.

\* الإرساليات التبشيرية؛ لم يكن التبشير جديدا على العالم العربي فقد رافق الحملات الصليبية، لكنه أخذ منذ القرن 17م صورة بعثات وإرساليات منظمة، منها: البعثة الأمريكية التي أنشأت أقدم مدرسة إرسالية في لبنان (1834)، وأنشأ البروتستانت الكلية السورية (1847) وأسسوا "الجمعية السورية " لترقية الفنون والعلوم والتي أصدرت سنة 1852 مجلة باسمها يحررها بطرس البستاني. ثم انتقلوا لتأسيس كليات كبرى مثل الكلية الإنجيلية الأمريكانية للبنات 1860، والكلية الإنجليزية للبنات 1861، والمدرسة الباطريركية للروم الكاثوليك 1865...الخ

\* حركة الاستشراق؛ يشير مصطلح الاستشراق في معناه المتداول إلى الاهتمام العلمي أو الأكاديمي الغربي بالثقافات الشرقية. وقد سجل انطلاق قوي للحركة الاستشراقية في القرنين 18 و19م خاصة عند تأسيس مدرسة اللغات الشرقية الحية في باريس سنة 1795 بفضل المستشرق الفرنسي سلفستر دي ساسي Sylvestre de Sacy، فكثرت الجمعيات الاستشراقية في روسيا القيصرية، والجمعية الآسيوية الباريسية 1821، وجمعية بريطانيا العظمى وايرلندا الأسيوية الملكية 1823، والجمعية الألمانية 1845...الخ.

بالإضافة إلى إنشاء الجمعيات الآسيوية، يذكر عمر الدسوقي صورا أخرى من نشاط المستشرقين، هي عقد المؤتمرات، وإنشاء المكتبات ومعاهد اللغات الشرقية، «وأول مؤتمر عقده المستشرقون ھو مؤتمر باريس سنة 1773 ، وتكررت بعد ذلك المؤتمرات حتى زادت في القرن العشرين، وقد أخذت مصر في العصر الحديث تشترك في ھذه المؤتمرات، ومن أول من اشتركوا فیھا عبد لله فكري، وحمزة فتح لله، وحفني ناصف وأحمد شوقي الشاعر»[[5]](#footnote-6)، أما المكتبات فقد تجمع فيها من ذخائر التراث العربي ما يربو عن 250 ألف مجلد، ومن أشهر هذه المكتبات «مكتبة برلین، وباريس، ولندن، ولیبزيج، ولیدن، وأكسفورد، وأدنبرة، ولیننجراد، ومدريد. وقد عز على كثیر من أدباء العرب وعلمائھم أن يظل ھذا التراث النفیس غريبًا محتبسًا في مكاتب أوربا، فأخذوا منذ تنبھوا يغشون ھذه المكتبات وينقلون بعض المخطوطات القیمة، أو يصورنھا؛ وقد اھتمت بذلك جامعة القاھرة، ورصد لھذا العلم الأموال, وبعثت العلماء لھذه الغاية، وقد جدت الجامعة العربیة في نقل كثیر من ھذه المخطوطات وتصويرھا، حتى تھیأ لھا عدد غیر يسیر منھا، سیلقى ولا شك كثیر من الضوء على الحقائق العلمیة والأدبیة والتاريخیة المتداولة »[[6]](#footnote-7).

ورغم تعصب بعض المستشرقين، وتحللهم من الموضوعية، ورغم ارتباط معظمهم بالاستعمار، إلا أنهم قدموا خدمة هامة للعرب في مطلع النهضة، من وجوهها[[7]](#footnote-8):

- تحقيق وطبع بعض أمهات الكتب العربية القديمة في اللغة والأدب والتاريخ والدين اعتمادا على المخطوطات الأصلية، والتنبيه إلى أماكن وجودها.

- وضع معاجم عربية أجنبية، ودائرة المعارف الإسلامية، ومعجم مفردات القرآن، ومعجم الحديث...الخ

- ترجمة الكتب العربية إلى لغاتهم مما أسهم في التعريف بالثقافة العربية في الغرب، حيث ترجمت الدواوين الشعرية وكتب الأدبواللغة والتاريخ...الخ

- ساعد منهجهم الحديث في التأليف وتنظيم الفصول من خلال ما أصدروه من كتب ومجلات في تطوير منهجية البحث والكتابة لدى العرب.

\* **الرحلات إلى الغرب**: ومن أهمها رحلة رفاعة رافع الطهطاوي (1801-1873) إلى فرنسا في إطار بعثة علمية رسمية، والتي تعتبر أهم أثر أدبي وفكري يترجم التفاعل الأوربي بين الشرق والغرب.

\* **البعثات العلمية:** كان حاكم مصر محمد علي من السباقين لإرسال بعثات علمية إلى أوربا، فقد أرسل 11 بعثة منذ سنة 1847 منها بعثة لدراسة الفنون العسكرية إلى إيطاليا (1813)، ولدراسة الميكانيك إلى انجلترا (1818) ولدراسة الطب إلى فرنسا (1832) وغيرها، وقد توسعت البعثات في عهد الخديوي إسماعيل (1830-1895) لتصل إلى 120 بعثة.

\* **الترجمة والتعريب:** إن كل عصر نهضة يبدأ بالترجمة، وهي لم تقتصر على ترجمة الكتب الدينية المسيحية التي ظهرت في الشام في مطلع القرن 19م، وإنما نقل العلوم والأفكار الحديثة إلى اللغة العربية في إطار حركة تنويرية وتجديدية عامة، انطلقت وفق استراتيجية محددة، وهو ما توفر في مشروع محمد علي في مصر لتحديث الدولة، فكان في البعثات طلبة للتخصص في الترجمة، وأسس مدرسة للألسن والترجمة في 1835 يديرها رفاعة رافع الطهطاوي، ثم قلما للترجمة سنة 1841، وقد عرفت المدرسة نشاطا كبيرا بعد 1867 بوفود الشاميين إلى مصر وتم نقل كتب كثيرة في العلوم الطبيعية والحربية والرياضيات والدين والحقوق والاقتصاد والأدب. «وعندما نشأت حركة المسرح العربي، وبنيت في عهد اسماعيل دارالأوبرا الخديوية راح الأدباء ينقلون المسرحيات العالمية، فعرب أديب اسحاق رواية "أندروماك" لراسين، كما عرب غيرها، وعرب الشيخ نجيب الحداد عدة مسرحيات فرنسية»[[8]](#footnote-9)، كما عربت القصص والروايات، «واشتدت حركة الترجمة والتعريب بعد الحرب العالمية الثانية حتى حفلت مكتبتنا الربية بأشهر الكتب العالمية في العم والفلسفة والتاريخ والاقتصاد والأدب..وكان لهذه المشاركة الفكرية أعمق الأثر في توجيه العقل العربي شطر الإنتاج الفكري والأدبي» [[9]](#footnote-10).

\***الطباعة**: وهي أهم حدث في مطلع النهضة العربية، وأهم وسيلة ضمنت انتشار الأفكار والأخبار والعلوم، «فالمطبعة شكلت قاطرة النهضة الثقافية والأدبية على امتداد القرن التاسع عشر في البلاد العربية، وذلك لكونها مثلت الأداة المادية لتأمين حركة نشر واسعة، شملت بالخصوص التراث العربي فكرًا وشعرًا ونقدًا ونثرًا»[[10]](#footnote-11)

ومن أهم المطابع المطبعة الأهلية (بولاق) التي أسسها محمد علي (1821) وقد أسهمت بشكل واسع وتاريخي في طبع الكتب العلمية والأدبية والدينية أكثر من 90 سنة، وقد نشطت مطابع كثيرة منها المطبعة الأهلية القبطية سنة 1860، مطبعة وادي النيل 1806، المطبعة الأمريكية ونقلت إلى لبنان في 1834، المطبعة الكاثوليكية 1848، المطبعة السورية 1857، مطبعة المعارف للبستاني 1867 وغيرها...الخ

\* **الصحافة**: وهي ثمرة من ثمار المطبعة، و"الوقائع المصرية" أول صحيفة عربية أصدرها محمد علي سنة 1828 بالتركية ثم مزدوجة اللغة ثم بالعربية فقط، وظلت تصدر إلى أوائل القرن العشرين، وتليها جريدة "المبشر" التي أصدرها الفرنسيون في الجزائر سنة 1847 بالعربية والفرنسية، ثم كثرت المجلات والصحف الرسمية وغير الرسمية منها وادي النيل 1866، نزهة الأفكار 1869 للمويلحي، روضة المدارس 1870، وفي الشام نجد مرآة الأحوال بالأستانة سنة لرزق الله حسون الحلبي 1855، حديقة الأخبار 1858 لخليل الخوري، والجوائب 1890لأحمد فارس الشدياق، ونفير سوريا 1860لبطرس البستاني، كما ظهرت الرائد التونسي 1861، وفي بغداد الزوراء لمدحت باشا 1868، وقد أصدر السوريون صحفا هامة في مصر مثل الكوكب الشرقي 1873 والأهرام لسليم وبشارة تقلا 1875 والتي ما تزال تصدر ليومنا، وجريدة المقطم لفارس نمر ويعقوب صروف سنة 1889.

بالإضافة إلى الصحف «عرفت البلاد شيئا فشيئا نهضة فيإنشاء المجلات العربية فظهرت "اليعسوب"، و"الجنان" و"المقتطف" و"الطبيب" و"الهلال" والضياء"، وغيرها مما كان له انتشار وفائدة»[[11]](#footnote-12)

\* انتعاش التعليم وتطوير أساليبه مع انتشار المدارس الحكومية وتعميم التعليم لجميع الناس وتنويع المواد والعلوم المدرسة، وفتح الجامعات. لقد بلغت المدارس في عهد محمد علي سنة 1839 حوالي 16 مدرسة تتكفل بـ9 آلاف تلميذ وفي 1882 بلغت 5370 مدرسة ابتدائية و27 ثانوية بالإضافة إلى الأزهر والكتاتيب، وتعد سنة 1822 بداية لتأسيس الجامعات، وفيها تأسست الجامعة الأمريكية، وفي سنة 1875 تأسست الجمعية اليسوعية في بيروت وكلية صادقي في تونس سنة 1880...الخ

\* نشاط الجمعيات والمجامع والمكتبات والنوادي الثقافية؛ ومنها جمعية زهرة الآداب 1873 لسليمان البستاني وإبراهيم اليازجي وأديب إسحاق ثم أوقفت، وجمعية المقاصد الخيرية في بيروت 1880، وتأسيس المجمع العلمي الشرقي 1882، والجمعية الخيرية في دمشق 1878، جمعية الآداب 1871، وقد رافقها أحيانا إصدار مجلات تعبر عنها، جمعية مصر الفتاة، جمعية المعارف 1868«التي كان من أهم أهدافها: مواجهة الثقافة الغربية الوافدة بثقافة عربية أصيلة، ولم يكن سبيلها إلى ذلك إلا إحياء "التراث العربي القديم، وانتقاء جمهرة من روائعه لإحيائها ونشرها، للاتكاء عليها في إرضاء الوي النامي، المتلهف إلى ثقافة عربية جيدة"»[[12]](#footnote-13)، جمعية العروة الوثقى 1891...الخ. كما تأسست المجامع العلمية، ومنها المجمع العلمي الشرقي ببيروت سنة 1882، والمجمع العلمي العربي بدمشق سنة 1921، ومجمع اللغة العربية في القاهرة سنة 1932 «وكان الهدف من هذه الجمعيات والمجامع إحياء الآداب العربية والمحافظة على اللغة العربية وتطويرها لتسير مع حاجات العصر والحياة الجديدة. وإلى جنب ذلك كله أنشئت المكتبات على نظام حديث، ومن أشهرها المكتبة الظاهرية بدمشق سنة 1878، ودار الكتب بمصر في عهد محمد علي، ومكتبة جامعة بيروت الأميريكية، وكانت الجمعيات والأندية الأدبية والمكتبات من أهم عوامل التقدم إذ فتحت أمام الباحثين والأدباء أبواب الحوار والنقاش والاطلاع، ووفرت لهم وسائل العمل العلمي الصحيح»[[13]](#footnote-14). ومن أشهر أما النوادي الأدبية ندوة توفيق البكري في بيته (1892-1912)، وندوة أحمد شوقي/ وندوة محمد بهجت البيطار، وندوة أحمد زكي، كما تبرز مساهمة ندوة مي زيادة سنة 1913.

لقد أدت كل هذه العوامل مجتمعة «فضلًا عن ظهور حركات الإصلاح الإسلامية والجمعيات والأحزاب السياسية، وبروز نخبة طلائعية ترنو إلى الإصلاح ومواجهة الثقافة الوافدة بسلاح التراث إلى اجتماع عوامل النهضة، التي انطوت على  تصور مخصوص للإصلاح والنهضة، يهيمن فيه عنصر التراث وتمجيد رموز الماضي العربي المزدهر وإبداعاته في مجالات القول الشعري والنثري والفكري والديني، خصوصًا في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين مع بداية الاحتلال الفرنسي والانتداب البريطاني للبلاد العربية الإسلامية»[[14]](#footnote-15)، فأهم ما ميز النهضة العربية الحديثة خاصة في بداياتها استفادتها من المنجزات المادية للحضارة الغربية من جهة، والحرص على التراث الثقافي والأدبي العربي والإسلامي من جهة أخرى ، ولهذا ما يفسره، « فنحن أمام رد فعل ثقافي، يرمي إلى التمسك بالهوية الثقافية واستحضار الذاكرة الحضارية، كآليات دفاع وهجوم في الوقت نفسه ضد الغزو الثقافي والسياسي الأجنبي»[[15]](#footnote-16).

وقد انعكس هذا على الصعيد الشعري في حرص الشعراء على استعادة الرابط مع الشعر العربي القديم في عصور ازدهاره، واتخاذه نموذجا لإحياء الشعر العربي، « إن ظاهرة الإحياء بصفتها تمثيلًا لموقف ثقافي حضاري، ولعلاقة تقوم على تمجيد الماضي والحنين إليه، هي تعبير عن طبيعة الفكر المنتج لذلك النمط من الشعر، باعتبار أن الشعر هو تفاعل بين الفكر والمعرفة وللنظرة إلى العالم والأحاسيس معًا. ومما تتميز به مدرسة الإحياء والبعث اعتمادها المحاكاة، وهي خاصية تفيد التقليد الذي تواتر في القصيدة الإحيائية، وهي القصيدة التي سعت إلى محاكاة منوال أغراض الشعر العربي القديم ومضامينه والمحافظة على الوزن ونظام القافية الواحدة والتمسك باعتماد البحور الشعرية الخليلية المعروفة »[[16]](#footnote-17)

1. علي شلق: النثر العربي في نماذجه وتطوره لعصر النهضة الحديث، دار القلم، بيروت، ط2، 1974، ص47. [↑](#footnote-ref-2)
2. انظر مارون عبود: أدب العرب، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2014، ص302. [↑](#footnote-ref-3)
3. آمال موسى: سوسيولوجيا الخطاب الشعري الإحيائي.. ثالوث الذاكرة والتراث والهوية، الفيصل، مركز الملك فيصل للبحوثوالدراسات الإسلامية، على الرابط <http://www.alfaisalmag.com/?p=5934> تاريخ التحميل 29/10/2017. [↑](#footnote-ref-4)
4. حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي؛ الأدب الحديث، دار الجيل، بيروت، ط1، 1986، ص11. [↑](#footnote-ref-5)
5. عمر الدسوقي: في الأدب الحديث، ج1، دار الفكر العربي، 1970، ص377. [↑](#footnote-ref-6)
6. المرجع نفسه، ص378. [↑](#footnote-ref-7)
7. انظر عباس بن يحيى: مسار الشعر العربي الحديث والمعاصر، دار الهدى للطباعة النشر، عين مليلة، دط، دت. [↑](#footnote-ref-8)
8. حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي؛ الأدب الحديث، ص19. [↑](#footnote-ref-9)
9. المرجع نفسه، ص19. [↑](#footnote-ref-10)
10. آمال موسى: سوسيولوجيا الخطاب الشعري الإحيائي.. ثالوث الذاكرة والتراث والهوية، الفيصل، مركز الملك فيصل للبحوثوالدراسات الإسلامية، على الرابط <http://www.alfaisalmag.com/?p=5934> تاريخ التحميل 29/10/2017. [↑](#footnote-ref-11)
11. حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي؛ الأدب الحديث، ص18. [↑](#footnote-ref-12)
12. رفعت زكي محمود عفيفي: المدارس الأدبية الأوربية وأثرها في الأدب العربي، دار الطباعة المحمدية القاهرة، ط 1، 1992، ص21. [↑](#footnote-ref-13)
13. حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي؛ الأدب الحديث، ص18. [↑](#footnote-ref-14)
14. آمال موسى: سوسيولوجيا الخطاب الشعري الإحيائي.. ثالوث الذاكرة والتراث والهوية، الفيصل، مركز الملك فيصل للبحوثوالدراسات الإسلامية، على الرابط <http://www.alfaisalmag.com/?p=5934> تاريخ التحميل 29/10/2017. [↑](#footnote-ref-15)
15. آمال موسى: سوسيولوجيا الخطاب الشعري الإحيائي.. ثالوث الذاكرة والتراث والهوية، الفيصل، مركز الملك فيصل للبحوثوالدراسات الإسلامية، على الرابط <http://www.alfaisalmag.com/?p=5934> تاريخ التحميل 29/10/2017. [↑](#footnote-ref-16)
16. المرجع نفسه. [↑](#footnote-ref-17)